مشكلة المصطلح في النقد الأدبي الحديث

د .حماد حسن أبوشاويش

أستاذ النقد الأدبي الحديث المشارك

بكلية التربية

ABSTRACT

This research deals with the concept of critical idiom; its emergence and development in the past and the present. Moreover, it discusses the causes behind the dilemma of the critical idioms and defines its manifestations in different fields such as literary genres, approaches, trends and schools of criticism. It deals in detail with some of the idioms which have been coined or used with much confusion and inaccuracy. In addition to that, the research propounds a number of suggestions and recommendations which would draw attention to the seriousness of the problem and the way to solve it.

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مفهوم المصطلح النقدي ونشأته وتطوره في القديم والحديث ، ويناقش أسباب وجود مشكلة المصطلح النقدي ويحدد عدداً من ظواهرها الدالة عليها في مجالات مختلفة كالأجناس الأدبية والمناهج والاتجاهات والمدارس النقدية وغيرها ، كما يتوقف عند مجموعة غير قليلة من المصطلحات التي وضعت أو استخدمت استخداماً لا يخلو من الاضطراب أو الاختلاف . ويقدم البحث عدداً من المقترحات والتوصيات التي من شأنها التنبيه إلى خطورة المشكلة وطريقة حلها.

مقدمة :

شهدت السنوات الأخيرة ثورة منهجية حقيقية لم تقتصر على النقد الأدبي ، وإنما بدأت بالذات في علم اللغة وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة ثم انتهت إلى الدراسات الأدبية بمناهجها المختلفة وقد صحب تلك الثورة المنهجية طفرة في عالم المصطلحات ، وقد أحرزت مختلف فروع المعرفة والعلوم المذكورة – فيما عدا النقد الأدبي عندنا – تقدماً ملحوظاً في تطوير وسائل التعبير لديها ، وفي ضبط وتحديد مفهوم المصطلحات التي تستخدمها ، وقد كان ذلك كسباً ميّز تلك الفروع ووضح حدودها ، واقترب بها خطوات واسعة من الموضوعية المنشودة ، بينما ظل النقد الأدبي عندنا يتعامل في عمومه بلغة فضفاضة ، ويتجلى ذلك في استعمال المصطلحات القائمة والكلمات المترجمة استعمالاً عشوائياً غير محدّد ، وكذلك في ترجمة المصطلحات النقدية أو اللغوية بلغة معمّاه تغلب عليها العجمة والتراكيب اللغوية الغريبة بشكل يجعلها أكثر صعوبة فيعز فهمها على القارئ المختص الذي يأمل لو تمكن منها بلغتها الأصلية .

كما نلاحظ عدداً من النقاد والباحثين باختلاف مناهجهم ومدارسهم يجتهدون في وضع مصطلحات خاصة ، فيحالفهم التوفيق حينا ويقعون في التعسف والاضطراب والإخفاق أحيانا أخرى وهذا الاضطراب يقلل من أهمية كثير من الدراسات كما يقلل من إمكانية الإفادة منها أيضا .

إن ذلك يؤكد أن النقد الأدبي عندنا لم ينجح في الإتفاق على قدر مهم من المصطلحات النقدية ، أو بمعنى آخر لم يوفق بعد في تطوير أدواته التعبيرية وفي تحديد لغة خاصة به ، وهل يمكن أن يقوم منهج لأي فرع من فروع المعرفة

المتطورة ، دون لغة واضحة أو مصطلحات محددة المفاهيم . بحيث يكتسب نوعاً من التميز والاحترام ؟[1] .

إن النظرة إلى كتب النقد والدراسات الحديثة والعديد من الأبحاث الجامعية الجديدة تكشف لنا أن المادة العلمية والمصطلحات متداخلة في تلك الدراسات بصورة واضحة . وكنا نتوقع أن تستفيد الدراسات اللاحقة من الدراسات السابقة عن طريق تثبيت معنى المصطلحات المستخدمة سابقاً باستخدامها المدلول نفسه أو حتى مناقشتها ، ولكن يبدو أن كل ناقد أو دارس يعمل في جهة وكأن كلاً منهم يعمل في جزيرة معزولة .

ولعل الباعث على تناول هذا الموضوع ؛ ما نلاحظه من اضطراب في وضع المصطلح النقدي واستخدامه ، وبروز ذلك ظاهرة من ظواهر أزمة النقد الأدبي الحديث ، وكذلك لتأكيد الإحساس بخطورة هذه المشكلة . من خلال عرض جانب من أسبابها وظواهرها المختلفة .

وسنتناول هذا الموضوع وفق خطة محددة نناقش من خلالها : مفهوم المصطلح النقدي ونشأته وتطوره في القديم والحديث ، ثم مناقشة أسباب أو عوامل وجود مشكلة المصطلح وبعض ظواهرها الدالة عليها في العصر الحديث ، وذلك بالالتفات إلى مجموعة غير قليلة من المصطلحات التي وضعت أو استخدمت استخداماً لا يخلو من الاضطراب أو الاختلاف . ونختم هذه الدراسة بعرض بعض المقترحات أو التوصيات التي من شأنها التنبيه إلى خطورة المشكلة وطريقة حلها .

اولاً : مفهوم المصطلح النقدي ونشأته وتطوره :-

المصطلح فى اللغة مأخوذ من أصل المادة (صلح) . قال الزمخشرى : "صلح فلان بعد الفساد ، صالح العدو ووضع بينهما الصلح وصالحه على كذا وتصالحا عليه واصطلحا "[2] .

أما الدلالة الاصطلاحية فهى لفظ وافق عليه جماعة من العلماء للدلاله على مفهوم محدد ، فإن كان يفيدة الاتفاق بين الفقهاء فى مسألة معينة للدلالة على مفهوم فى الفقه فهو مصطلح فقهي ، وإن تم بين المحدّثين فهو مصطلح فى الحديث ، وإن كان بين النحاه فهو مصطلح نحوي ، وإن كان بين النقاد فهو مصطلح نقدي وهكذا[٣]

ومن المعروف أن الاصطلاح يجعل للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية أو الأصلية ، كما أن المصطلحات لا توضع ارتجالاً ، ولابد في وضع المصطلح من وجود حاجة لاستخدامه ، ولا يزال النقد الأدبي – من قديم وحتى اليوم – "يستمد مصطلحاته من مختلف ميادين الحياة والمعرفة من علم أو فن أو فكر وفلسفة مستعيناً بكل شيء يخدمه في الحكم والتوضيح والتحليل وفي كل عصر تصبح المصطلحات السائدة شاهداً على المصدر الرئيسي الذي يتغذى منه النقد "[٤] .

إن نشأة المصطلح النقدي مرتبطة ارتباطاً كبيراً بنشأة النقد الأدبي وقد أصبح النقد الأدبي عند العرب نقداً منهجياً منظماً معبراً عن نظرة إلى الأدب تبدأ بالتذوق الذي يعبر منه الناقد إلى التفسير والتحليل والتقييم ـ منذ نهاية القرن الثاني الهجري الذي توافرت فيه عوامل كثيرة أسهمت في تحقيق المنهجية للنقد منها : الإحساس بالتغير والتطور في الذوق العام وفي طبيعة الفن الأدبى وفي المقاييس الأخلاقية أو في العادات والتقاليد والقيم العامة ، وكذلك تعدد المنابع الثقافية وتباين مستوياتها ، وكل هذا وغيره أسهم أيضاً في تحديد دور واضح للناقد ، وأظهر الحاجة الحقيقية إلى المصطلح النقدي المناسب[٥] .

والحقيقة أن المصطلح النقدي تطور واتسع خلال العصور وبدأ أول مابدأ مرتبطاً بالبداوة وقد استمد العرب منها كثيراً من المصطلحات فمصطلح (عمود الشعر) وثيق الصلة ببيت الشّعر ، ومصطلح(الفحولة) ووصف الألفاظ بأنها ألفاظ وحشية نافرة صعبة القياد ، ووصف المعاني بالجزالة مستمدة من طبيعة حيوان الصحراء وبخاصة الإبل[٦] كما أن وصف الأبيات بالغراء والمحجلة في كتاب

(قواعد الشعر) لثعلب وظهور مصطلحى التسويم والتحجيل عند حازم القرطاجنى بعد قرون مستمد من الخيل[٧] . وقد كان لتطور الحياة الفكرية وخاصة تنوع التيارات الثقافية وكذلك الازدهار الحضاري المادي في العصر العباسي أثره في تنوع مصادر المصطلح النقدي ، فنجد لدى ابن المعتز في كتاب (البديع) آثاراً واضحة للاعتزال في طبيعة التعبير وفى المصطلح النقدي على السواء ، كما نجد لدى قدامه بن جعفر في (نقد الشعر) آثاراً واسعة للمنطق والبلاغة اليونانيتين في نظرته إلى النقد الذي حوله إلى منطقية ذهنية وقواعد مدرسية تحتاج إلى مصطلح يناسبها .

ومن ملامح الازدهار الحضاري التأنق في الملبس والزينة وماتبعة من تطور في صناعة الصباغة والحياكة وغيرها من الصنائع .

ومن هذا الباب وجدت بعض المصطلحات طريقها إلى الشعر والنقد مثل النسج والصبغ والتفويف والتسهيم والترصيع والتطريز والتوشيع والسلاسة وأشباه ذلك[٨] .

إن من ينظر في مسيرة تطور المصطلح من نهاية القرن الثاني وحتى نهاية القرن السابع يلاحظ أن ذلك التطور قد خدم النقد الأدبي ولكنه مع ذلك خدم مجال البلاغة أكثر مما خدم النقد الأدبي وبخاصة في القرون المتأخرة من الفترة التي أشرنا إليها .

ويلاحظ الدارس للأدب والنقد في الفترة التي أعقبت القرن السابع أن الابتكار في المصطلح النقدي قد انحسر انحساراً واضحاً ولم يعد هناك مجال للتوسع في دلالته ، ولعل ذلك مرتبط بماساد الأدب من ضعف وما ساد الحياة الفكرية والثقافية والحضارية من ركود وانحدار ، وقد استمرت هذه الحال على ما هي عليه إلى العصر الحديث عصر النهضة الأدبية والفكرية[٩] .

وفي الحق أن الوطن العربي - ابتداءً من نهاية الحكم العثماني أو من الحملة

الفرنسية على مصر والشام وحتى اليوم – شهد – بالتدريج تحولات واسعة في جميع مجالات الحياة الأدبية والعلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية ، وعلى مستوى الأدب والنقد يلحظ الدارس أن هناك تطوراً كبيراً قد تحقق في العصر الحديث " وهو عصر تعددت فيه المناهج ووضحت فيه بشكل أفضل اتجاهات النقد ، واتسعت آفاقه وتحددت فيه مقاييس نقدية لم تعرف من قبل . ومنذ أن نشطت حركة الاتصال بين العالم العربي والغرب الأوروبي عن طريق البعثات العلمية والترجمة وغيرهما، ازداد الإطلاع على معالم الثقافة الغربية وعلى التطور الذي شهدته ميادين الأدب والفن والنقد والعلم "[١٠] . وعندئذ نمت في وسط المثقفين والنقاد العرب رغبة صادقة في النظر إلى التراث ومحاولة الاستعانة في ذلك بالمناهج الحديثة والأساليب المتطورة ، ولذا وجد من المحدثين من أخذ دراسة التراث بروح عصرية تتناسب مع ما جدّ من تطور في مختلف مجالات الحياة[١١] .

وكان من أثر ذلك ظهور عدد غير قليل من الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة وعدد غير قليل من الترجمات لأهم الآثار الأدبية والنقدية الأجنبية على اختلاف تياراتها واتجاهاتها .

وكان لتنوع الثقافات وتعدد المناهج التي اطلع عليها المثقفون والنقاد العرب المحدثون ، وللتواصل الكبير بين النقد الأدبي الحديث والعلوم اللغوية والإنسانية والفلسفات المتعددة وبخاصة علم اللغة وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الجمال والفلسفات ذات الطابع الكلاسيكي والرومانسي والواقعي ـ كان لكل ذلك آثاره المهمة في تطور النقد الأدبي والدراسات الأدبية في عالمنا العربي الحديث قد ولد الحاجة إلى إعادة النظر في كثير من المفاهيم والتقاليد الفنية، كما ولّد الحاجة الماسة إلى المصطلح المناسب لكل جديد ، وواضح أن المصطلح ـ كما يقول د. عز الدين إسماعيل : " لا ينشأ إلا بعد حاجة مفهومة ماسة إليه بعد تراكم معرفي يفضي إلى

نوع من الإحساس بأن ما هو متاح من لغة التخاطب أو التفاهم لم يعد كافياً ، وأن هناك أفكاراً جديدة تطرح تحتاج إلى بلورتها في هيئة اصطلاحية أو في لفظ اصطلاحي "[١٢] .

ولا شك أن المصطلح النقدي في العصر الحديث قد شهد تنوعاً وتطوراً واتساعاً في الدلالة بصورة لم تعرف من قبل ، غير أن هذا التطور في ابتكار المصطلح أو استخدامه ، كان في كثير من الأحيان يتسم بسمات جعلته يفضي إلى مستويات من الأداء لا تخلو من السلبيات ، بل إن تلك السلبيات أصبحت بتعدد مظاهرها تمثل إشكالية حقيقية في واقع الحياة الأدبية والنقدية . وقبل الالتفات إلى نماذج توضيحية تطبيقية تكشف أبعاد مشكلة المصطلح النقدي وتشكيله واستخدامه نرى من المفيد أن نوضح أسباب أو عوامل ظهور المشكلة .

ثانيا ً: عوامل أو أسباب ظهور مشكلة المصطلح النقدي :

إن مشكلة المصطلح في النقد الأدبي ظاهرة من ظواهر أزمة النقد والأدب في حياتنا المعاصرة ، وهي نتيجة لعوامل وأسباب غير إيجابية ، منها أن النقاد والباحثين وبخاصة واضعو المصطلحات – يعلمون وكأنهم في جزر منعزلة نتيجة لافتقاد قنوات الاتصال بينهم ولاختلاف مناهجهم حيناً ، واختلاف وجهات نظرهم الأيديولوجية أحياناً أخرى ، كأن جوا من القطيعة أو الخصام يلف مجال الرؤية حولهم ، وكان نتيجة ذلك غياب التنسيق بين واضعي المصطلحات من النقاد والباحثين والمترجمين ، فلا تستخدم – في الغالب – مقاييس أو أساليب موحدة في وضع المصطلحات كالاشتقاق والنحت والتعريب والترجمة ، " فبعض منهم يحبذ استخدام أسلوب مفضلاً أياه تفضيلاً شخصياً على سواه من الأساليب ، وما يزيد الأمر صعوبة أن لكل واحد من هؤلاء من الاقتناع ما يجعله يقول بصحة طريقته في وضع المصطلح اعتمادا على ثقافته وعلى الصورة التي عالج بها اللفظ الأجنبي

والتي طابقت تصوره الشخصي لابتكار المصطلح "[١٣] .

إن ماتدل عليه المعطيات السابقة يؤكد أنه تنقصنا الروح الجماعية للبحث ، وبخاصة على مستوى المبادرات الفردية ، فعلى هذا المستوى ينقصنا التعرف إلى مشاريع البحث التي تنعقد عندنا . كما لاتتوافر لدى الكثيرين منا معرفة مايجرى أحياناً في الجامعة المجاورة ، فما بالك بالقطر المجاور ، فهناك مؤلفات وبحوث وكتب مترجمة منشورة لاتصل إلى الآخرين من ذوى الاختصاص فلو كانت الأمور الثقافية متواصلة لأمكن توفير كثيرمن الجهود .

إن بعض أسباب الاضطراب والاختلاف في وضع المصطلح – بالإضافة إلى ما سبق – يرجع إلى حركة الترجمة والتعريب في الوطن العربي حديثاً ، فمن ذلك في مجال الترجمة اختلاف الترجمات واختلاف الاجتهادات في تلك الترجمات التي قد تكون للعمل الأدبي أو النقدي نفسه ، ففي المغرب والجزائر وتونس يترجمون بطريقة ، وفي الشام يترجمون بطريقة وكذلك في العراق أو مصر يترجمون المصطلح الواحد بثلاثة مصطلحات أو أكثر[١٤] .

وربما تجد عند عدد من المترجمين في داخل القطر الواحد اجتهادات أكثر وفقاً لثقافة كل مترجم أو ناقد ، وللغة التي يجيدها أو يترجمها .

ومن الملاحظ أن بعض المترجمين يقدمون على الترجمة دون تسلح كافٍ بأدواتها ومطالبها ، ولذلك يعمدون إلى الترجمة الحرفية أو الترجمة الركيكة ، وهذ الترجمة – بخاصة في نقل المفهوم والمصطلح – تمثل أضعف الوسائل الاصطلاحية لأنها تحبس اللفظة في جمود عديم الفائدة . ومن نتائج الترجمة غير الدقيقة ومن نتائج التسرع والارتجال فىوضع المصطلح أن صار المفهوم الأجنبي غامضاً عند وضعه مصطلحاً في العربية رغم أن دلالته قد تكون واضحة في لغته الأصلية ، وهذا ما يؤدى إلى شيوع الإبهام والغموض .

إن من المظاهر الدالة على وجود مشكلة فىالمصطلح مانراه من عدم مبالاة بعض الدارسين وعدم اهتمامهم بالمصطلح القديم والحديث ، ومن الواضح كما يرى د. محمود الربيعي أن " غياب ثراء المصطلح الموروث المتطور والمستحدث معاً يجعل من بداية العمل في النقد الأدبي أمراً صعباً غاية في الصعوبة ، ونظرة إلى الأبحاث التي تتم في مجال التراث النقدي تخبرنا أن آخر ما يفكر فيه الدارس هو مسألة المصطلحات ، فالرسائل العلمية والمقالات والبحوث الأدبية النقدية التي تتناول التراث الأدبي أو النقدي تحتفل بالموضوعات والأفكار أيما احتفال وتحتفل بدلالات هذه الموضوعات والأفكار سياسياً واجتماعياً وثقافياً ، ولكنها لاتحتفل بالمصطلح ولاتتساءل عن نوع اللغة التي كان يستخدمها النقد مثلاً ، وهل هي لغة عادية ؟؟ أم لغة اصطلاحية ، وإذا كانت اصطلاحية فما حدود مصطلحاتها ؟، وما المفاهيم الخاصة لهذه المصطلحات ؟ وهل تطورت أم تجمدت ؟ "(١٥)

ومن مظاهر عدم المبالاة بالمصطلح مانجده لدى كثيرمن النقاد والمترجمين من عدم الالتزام أو التقيد في نهاية دراساتهم أو تراجمهم بوضع ثبت لمجموع المصطلحات الواردة منها أو تبويبها أوحصر دلالاتها ، ومثل تلك الدراسات التي تنقصها قوائم مشروحة للمصطلحات المستخدمة تفتقد جانباً من قيمتها وأهميتها رغم كل ما بذل فيها من جهد وإخلاص .

إن الناقد أو المترجم الذي يقدم مصطلحا جديداً في مجال النقد العربي عليه أن يحدد المعنى الذي يقصده بهذا المصطلح وبخاصة إذا كان لذلك الناقد رؤيته الخاصة لهذا المصطلح أو أن يكون للمصطلح عنده مدلول معين .

ويفسر د. شكري عياد هذه الظاهرة التي تتمثل في إهمال بعض النقاد أو المترجمين تحديد مصطلحاتهم فيرى أن ذلك يعود لسببين : " السبب الأول أنهم يستمتعون بمخاطبة أنفسهم وبأن يكون الناس الذين لم يسمعوا بهذه المذاهب كأنهم

في معزل ، وهذا نوع من نفسية الطائفة أو الدائرة المحدودة التي أصبحت ظاهرة في الآداب العالمية كلما تقدمنا في الحداثة "[١٦] .

ويرد السبب الثاني إلى خشية كثير من النقاد العرب المحدثين أن لايكون فهمهم للمصطلح دقيقاً أو صحيحاً . وليس عندهم الشجاعه الكافية لكي يدركوا أن لكل ناقد ملء الحرية في أن يحدد مفهومه[١٧] .

ويعترف بعض المترجمين بصعوبة المهمة التي يقومون بها وبخاصةوضع أو ترجمة المصطلح الجديد . .يقول الأستاذ أحمد المدينى مترجم كتاب (في أصول الخطاب النقدي الجديد) في مقدمة ترجمته : " إنني أنبه القارىء من الآن إلى مخاطر المصطلح وصعوبة نقله ، وقد عمدت بدوري إلى الاجتهاد أو إلى اقتباس ما بات يتمتع ببعض التداول ، والحق أنى لم اجتهد إلا في حق ماوجدته غائباً أو ما أحسست أنه يشكل على الفهم ، وفي اللحظة التي أدرك فيها بأن هذين المسعيين معاً لا يفيان بالمطلوب كنت أورد الأصل الأجنبي ، وليس في ذلك أية حذلقة كما يعتقد البعض "[١٨] .

ثالثا : مظاهرالاضطراب والاختلاف في وضع المصطلحات النقدية واستخدامها :

من المظاهر الدالة على وجود مشكلة في المصطلح النقدى بروز موجات من التجديد في مجال النقد تتخذ من الثورة على المصطلحات السابقة عليها سبيلاً ومنهجاً ، وفي حمأة النزوع إلى ذلك التجديد ظهر الحماس للغة جديدة في النقد تتعامل مع المصطلح الجديد وتفضلة على كل قديم ، وتمثل في فترة من الفترات هذا التوجه مجلة (فصول) النقدية التى بدأت عام ١٩٨٠ .

يقول د. عزالدين إسماعيل رئيس تحرير المجلة فترة زادت عن عشر سنوات وأحد رواد التجديد فيها في تعليله لهذا التوجه : " في البداية ظهر للناس أننا نطرح لغه غريبة عليهم ، وهذه حقيقة ولانزاع في هذا ، إن المجلة (فصول)

طرحت لغه غير مألوفة ومن أجل ذلك كانت بالنسبة لكثيرين لغة غامضة ، المشكلة كانت قضية متعلقة بالمصطلح ، المصطلح النقدي المتداول قبل مجلة فصول ، كان قد ابتذل واستهلك ، ولأنه ابتذل ، حتى دلالته الأصلية والحقيقية كانت قد تهاوت وضعفت ، فإن المصطلح النقدي كان قد فقد دلالته الحقيقية في الكتابات ، وأصبح الناس يكررونه دون أن يتدبروا المعنى الأصلي له .... (فصول) طرحت لغة جديدة لأنها تعاملت مع المصطلح الجديد"[١٩] .

ولانشك في أن التجديد مطلوب في الساحتين الأدبية والنقدية على السواء غير أن هذا التجديد لاينبغى أن يتنكر لكل الجهود السابقة عليه ، فما يتحقق من تجديد في أي شكل من أشكال الإبداع إنما هو حلقة من حلقات التطور وما قدمه الدارسون في مجلة (فصول) من ابتكار في مجال لغة النقد وأساليبه ومناهجه ومصطلحاته ليس إلا استكمالاً للجهود السابقة في هذا المجال ، إن الميل إلى التجديد ليس مبرراً للإسراف في استخدام مناهج وأساليب في النقد مستمدة في أغلبها من الغرب أو تطبيق مصطلحات ليست صادرة من طلب إبداعنا الأدبي أو ليست نابعة من التكوين الأصيل لتجاربنا الأدبية الخاصة بنا فنحن مع التفاعل مع التيارات الفكرية والمنهجية والتفاعل مع الآداب الإنسانية كلها ، ولكن التفاعل شئ والخضوع أو استسهال الخضوع للمناهج والمصطلحات الغربية شيء آخر ، فهذا الخضوع الذي نجد بعض آثاره في مجلة (فصول) ولدى بعض الدارسين الآخرين – في صورة أسهم واشارات وتقسيمات وجداول ودوائر وإحصاءات وابتداع مصطلحات غريبة عن الأدب والنقد حولت بعض الدراسات النقدية إلى شيء أقرب إلى الرموز والإحصائيات مما أضفى ظاهرة تكتسب ثوب التجديد – لايفضي بنا إلى نقد أدبي عظيم .

ولايعني ما ذكرناه أنه لا فائدة من معرفة اتجاهات النقد الغربية وتطبيقها

على الأدب العربي ، إن تطبيق تلك المناهج يجب أن يقوم أولاً على معرفة صحيحة بتلك المناهج أو الاتجاهات على أن يكون ذلك التطبيق في نطاقه الصحيح وبطريقة صحيحة ، وأن يكون ذلك الاستخدام للمناهج الغربية محدوداً ومؤقتا بالضرورة بحيث لايكون غاية في ذاته وإنما يهدف في النهاية لتحقيق نتيجة شاملة ومطلب أساسي لنا يتمثل في الوصول إلى تكوين الناقد العربي القادر بمنهجه وأدواته ومصطلحاته وأساليبه النقدية على قراءة التراث بطريقة جديدة من شأنها أن تؤدى إلى اكتشاف وتأصيل مجموعة من التقاليد الموضوعية لهذا التراث ، والقادر أيضاً على فهم الحاضر الأدبي على المستوى نفسه وربطه بالماضي بحيث يكون استمراراً له يستمد منه ويضيف إليه في الوقت نفسه . إن مانزيد في النهاية تحقيقه أن تكون لنا شخصيتنا وفكرنا النقدي العربي ليحيا هذا الفكر جنباً إلى جنب ويتعايش معيشة الند للند مع الفكر العالمي بحيث يتفاعل معه تفاعلاً أساسه الأخذ والعطاء(٢٠).

أما أن نعيش إلى أمد لانهاية له – على أفكار الآخرين ومناهجهم ومصطلحاتهم النابعة أساساً من نصوص تراثهم وحياتهم وفكرهم فذلك مالا يقبله أحد حريص على حاضر مشرق ومستقبل وضاء لأمته ولثقافتها وشخصيها المتميزة.

على الرغم من أن المصطلح قد حقق في النقد الغربي إنجازاً هاماً من ناحية التحديد والانضباط والتميز ، لايزال النقد العربي الحديث غير قادر على تحديد لغة خاصة به ، أي لم يسيطر تماماً على مصطلحاته ولم يحدد مفاهيمها تحديداً دقيقاً ، فالعشوائية والتسرع والاضطراب وعدم الدقة تسود استخدام المصطلحات النقدية على مستوى الساحة العربية كلها ، فكل كاتب أو ناقد أو مترجم يستخدم المصطلحات على هواه ويصك لنفسه من الكلمات والتعابير والتراكيب ما ليس له معنى إلا في ذهنه هو ، فتجد المصطلح الواحد ذا دلالتين مختلفتين ، أو ذا دلالات

مختلفة عندهم ، بل عند الواحد منهم في بعض الأحيان[٢١] إن نظرة إلى استخدام هؤلاء للمصطلح النقدي توضح أن ذلك الاستخدام قد اتخذ عدة مجالات ، منها مجال الأجناس الأدبية، ومجال المذاهب أو الاتجاهات أو المدارس النقدية ، وكذلك مجال موسيقى الشعر وما يتضمنه من مصطلحات عديده ، بالإضافة إلى استخدام مصطلحات متنوعة ذات صلة بالنقد والأدب .

ولا يتسع المجال هنا لاستقصاء الكثير والكثير من الأمثلة التي تؤكد عجز النقد الأدبي الحديث عندنا عن تحقيق قدر مهم من النجاح في الاتفاق على ترجمة المصطلحات النقدية أو استعمالها أو وضعها وحسبنا أن نثبت من تلك المصطلحات التي تعكس الاختلاف في عدد من المجالات السابقة ، شواهد على وجود إشكالية فىالمصطلح النقدي .

١ - في مجال الأجناس الأدبية :-

يلتقي الدارس بأسماء لا حصر لها لقصيدة التراث مثل اسم قصيدة التراث نفسه والشعر التقليدي والشعر العمودي والشعر التناظري والشعر الاتباعي والشعر الموزون المقفى والشعر القديم ، كما أن هناك أسماء للشعر الذي جاء بعد قصيدة التراث في العصر الحديث مثل الشعر الحر ، الشعر المرسل ، شعر التفعيلة ، الشعر الحديث ، الشعر الجديد ، الشعر المنطلق . وأخيراً مرت القصيدة العربية بمرحلة أخيرة متجاوزة المرحلتين السابقتين فأنتجت عدداً من التسميات مثل : قصيدة النثر، الشعر المنثور ، النثر الشعري ، النثيرة ، الشعر غير الموزون ، النثر الفني[٢٢] وأكثر تلك التسميات والمصطلحات تحمل في ثناياها كما يرى أحد الدارسين موقفاً أيديولوجياً أو منطلقاً فكرياً محدداً فهو مع أو ضد هذا الشكل أو ذاك[٢٣] .

إن المدقق في تلك التسميات لايستطيع أن يحدد تعريفاً أو مصطلحاً متفقاً

عليه لنمط من الأنماط الشعرية السابقة ، فالتسميات متفاوتة وغير محددة الدلالة

وغير دقيقة ولتأكيد ذلك نتوقف عند أمثلة من تلك التسميات لنتعرف على دلالتها على القصيده التي تعنيها التسمية أو المصطلح .

فمثلاً (الشعر العمودي) وهو تسمية للقصيدة التي تسير على نظام الشكل التقليدي وبخاصة الالتزام بالوزن والقافية ، هذا المصطلح ليس دقيقاً في دلالته على هذا النمط من الشعر لأن مصطلح (عمود الشعر) الذي استمد منه (الشعر العمودي) لم يكن مقصوراً على جانب الوزن والقافية أو شكل القصيده الخارجي بل يتعداه إلى محتوى القصيدة ومستوياتها البلاغية والتقاليد الموضوعية والفنية القديمة.

ومثل ذلك مصطلح (شعر التفعيلة) الذي لايعبر تعبيراً دقيقاً عن طبيعة الشعر الذي لم يلتزم بشكل الشعر القديم ، وواضح أن هذه التسمية فيها من السطحية والتجاوز الشيء الكثير ، لأن الخروج على النص الشعري القديم ليس خروجاً عروضياً فحسب ، بقدر ماهو خروج في الرؤية والبناء[٢٤] .

أما مصطلح (قصيده النثر) فإنه لايختلف عن المصطلحين السابقين بل إنه أكثر بعداً عن المفهوم الصحيح لما يحصل من تناقض ، فكيف يتسم نص بروح الشعر في الوقت الذي يعدم قانون انتظام الشعر نفسه ؟ ونحن نعجب حقاً لمن يصفون هذا النوع من التعبير بأنه " نص شعري دون ريب "[٢٥] رغم اقتناعهم " بأن ما يشتمل عليه ليس إلا شظايا متناثرة ونوى مجزأة مبعثرة في الكلام النثري الذي لا يكون من ورائه قصد إيقاعي خارجي"[٢٦] .

إن مفهوم (قصيدة النثر) لم يتضح فترة عند أنصاره ، وهم تجمع مجلة (شعر) البيروتية ، ففي بدايات نشر نصوص من هذا النمط عام ١٩٥٨م أثير جدل كان المشاركون فيه أعضاء تجمع (شعر) أنفسهم حول نتاج محمد الماغوط وتوزعت الأحكام بين قائل بأنه نثر جميل أو عطاء جميل أو نثر رائع[٢٧] وما يبعث

على الغرابة اعتراف أهم دعاة قصيدة النثر وبخاصة أدونيس بأنها ذات مصدر أمريكي أوروبي[٢٨] فهي تقليد لنمط من التعبير ساد في الآداب الغربية[٢٩]

إننا نرى أن إخراج هذا النمط من التعبير من مجال الشعر ليلحق بالنثر أجدى وأكثر دقة وتحديداً لأنه من غير المناسب أن نسمه بسمة الشعر لافتقاده أكثر مقومات الشعر . ولعل هذا التخبط في التسميات يؤكد أن استخدام بعض المصطلحات في مجال الأنماط الشعرية استخدام غير موفق يبعث على البلبلة والاضطراب .

ونلتقي في مجال الأجناس الأدبية الأخرى – غير الشعر – بمصطلحات لا تتميز بالتوافق أو التحديد ، فهناك من مال إلى تسمية المسرحية بالرواية وعلى هذا كانت مسرحيات شوقي الشعرية – عند البعض – تسمى أحياناً روايات أحمد شوقي ولا تعدم من يسمى المسرحية الرواية التمثيلية ، وقد أورد البستاني الشعر التمثيلي بمعنى الشعر المسرحي أو الدرامي[٣٠] .

ويختلف المترجمون والدارسون في ترجمة بعض المصطلحات ، فالتراجيديا يترجمها بعضهم بالفاجعة ويترجمها كثيرون بالمأساة[٣١] ويفضل أكثر المعاصرين استعمال الكلمة بلفظها الأجنبي " تراجيديا " أما الكوميديا فيترجمها بعضهم بفن المضحكات ويترجمها البعض الآخر بالمهزلة أو بالمسلاة[٣٢] ويترجمها كثيرون بالملهاة ويفضل أكثرهم استعمال الكلمة بلفظها الأجنبي " كوميديا " كما لا يشعر القارئ بكبير فرق – لدى بعض النقاد – في استخدامهم " مسرح العبث " بمعنى "مسرح اللامعقول " و" الحكاية " بمعنى " الحبكة الفنية " و" تيار الوعي "بمعنى "تيار الشعور " أو " المناجاه الداخلية " .

وإذا كان بعضهم قد خصص مصطلح " الرواية " بالقصة الطويلة فإن هناك

من استخدم كلمة القصة للدلالة على القصص القصيرة ، وفـرّق بعضهم أخيراً بين القصة القصيرة والقصة القصيرة جداً[٣٣] .

٢ – **وفي مجال المناهج والاتجاهات النقدية :**

يصطدم القارئ بأسماء كثيرة لمسميات متقاربة أو متشابهة ، فيسمع بالنقد الشكلانى والنقد الشكلي ، والنقد الإستتيكي ، والنقد الفني والنقد الجمالي والنقد الأسلوبي ، وهى مصطلحات للدلالة على المنهج أو النقد الذي يضفي الأهمية في النص الأدبي على الجانب الشكلي الخارجي ويهون من قيمة المضمون[٣٤] .

ونسمع عن المنهج الأيديولوجي[٣٥] والاعتقادى والمذهبي[٣٦] والالتزامي[٣٧] والواقعي الاشتراكي والماركسي والاجتماعي[٣٨] بدلالات متقاربة ونسمع النقد النفسي والنقد النفساني[٣٩] والنقد القاعدي والمعياري[٤٠] كما نسمع عن النقد النحوي والنقد اللغوي والنقد البلاغي والنقد البياني والنقد الفقهي والنقد المدرسي أو الجامعي بمعنى واحد أو متقارب[٤١] وهو النقد الذي " ينظر في الشعر إلى نحوه وصرفه وعروضه وبيانه وبديعه وفى بعض الأحيان إلى معانيه ، وهو النقد الذي سار عليه جل نقاد العرب من قرون وقرون ولايزال محوراً لنقدات كثير من نقاد اليوم[٤٢] .

ومثل هذا الاضطراب في استخدام المصطلحات في مجال نقد الشعر نجده بالقدر نفسه في مجال نقد الرواية فيلتقي الدارس بمصطلحات مكررة أو متشابهة دون تحر أو متابعة من الباحثين المستخدمين لتلك المصطلحات ، فأحد الباحثين يستخدم رواية الترجمة الذاتية وآخر يستخدم رواية التجربة الشخصية للدلالة على معنى أو شيء واحد ، وغيرهما يستخدم الرواية التاريخية القومية مقابل الرواية التاريخية عند باحث آخر ، وهناك من يستخدم الرواية الاجتماعية مقابل رواية الطبقة الاجتماعية[٤٣] ومثل هذه المصطلحات – وغيرها – متشابهة ومتداخلة ، وكان من الممكن أن تستفيد الأبحاث اللاحقة من السابقة عن طريق تثبيت معنى أو

دلالة محددة للمصطلحات السابقة باستخدامها أو حتى مناقشتها وتثبيت العدول عنها إذا ما استدعى الأمر ذلك ،ولكن يبدو أن كل باحث يعمل في واد[٤٤] .

٣ – وفي مجال المدارس أو التيارات النقدية :–

لايزال الاستعمال متردداً بين الرومانتيكية والرومانسية[٤٥] والرومانطيقية والرومانتية والرومانية[٤٦] والابتداعية والوجدانية باعتبارها مدلولاً واحداً ، ومثل ذلك الكلاسيكية والكلاسية[٤٧] ومصطلح " البنيوية " وهو اتجاه أو منهج لغوي نقدي حيث لم يتم الاتفاق عليه ، فبعض الباحثين يستخدم مصطلح " البنائية " ليدل على مصطلح " البنيوية " وقد ورد مصطلح " البنيوية " في كثير من الدراسات المترجمة وغير المترجمة[٤٨] أما مصطلح " البنائية " فقد ورد عنواناً لكتاب " نظرية البنائية في النقد الأدبي " للدكتور صلاح فضل وهو من الكتب الهامة في مجال النقد الأدبي .

والبنيوية في مصطلح المشارقة يعادل " الهيكلية " في مصطلح المغاربة وقد عرضوا لها في علم اللغة وفي النقد الأدبي[٤٩] أما مصطلح " الجمالية " فيقابلنا بصور مختلفة كعلم الجمال ، وفلسفة الجمال والاتجاه الجمالي والاتجاه الفني .

كما ورد مصطلح " التأثرية " و " الانطباعية " للدلالة على شيء واحد[٥٠] وكذلك مفهوم " التفكيكية " DECONSTRUCTION ترجم باسم التحليلية البنيوية ، أما مفهوم " الظاهراتية " PHENOMENOLOGY فيفسره مترجم كتاب " المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية " من خلال وصفة للنظرة الظاهراتية بأنها " النظرة التي حاول أصحابها تحقيق وصف شامل لظاهرة المعنى الأدبي كما تقدم نفسها إلى شعورنا ... وآمن هؤلاء بأن الظواهر إنما تفهم من خلال البديهة المباشرة[٥١] .

ويستعمل مصطلح التكوينية STRUCTURALISME بمعنى مقارب حينا وبمعنى مغاير حينا آخر لمصطلح الأسلوبية RMALISME عند بعض الدارسين رغم

أن مفهوم هاتين الكلمتين كما يقول الناقد " بيير مورو " مطاط وغير واضح ويدعو

إلى التداخل حتى في ذهن من اطلقوهما أنفسهم[٥٢] .

٤ – **وفي مجال موسيقى الشعر :-**

يلاحظ أنه قد تتعدد المصطلحات ويقصد بها شيء واحد ، فما يسمى بالإنجليزية STRESS يسمى تسميات مختلفة عند الدارسين كالنبر[٥٣] والارتكاز[٥٤] والضغط [٥٥] والشدة أو التشديد[٥٦] وكذلك مصطلح " الإيقاع " فهو عند أحد الدارسين نغمة صاعدة في مقطع مبتور من المقاطع التي تتوسط الشطر[٥٧] وعند غيره " هو حركه الأصوات الداخلية التي لاتعتمد على تقطيعات البحر والتفاعيل ، وهو غير الوزن ، وهو التكوين الصوتي الصادر عن الألفاظ المستعملة ذاتها[٥٨] وعند آخر "العلاقة الزمنية بين أجراء اللحن "[٥٩] .

ومصطلح " القافية " معناه عند بعض النقاد : الساكنان الأخيران في البيت وما بينهما والحرف المتحرك قبل الساكن ، ومعناه عند آخرين الروى[٦٠] ولاشك أن هذا الاختلاف وهذا الخلط في استخدام المصطلحات يؤدى إلى سوء الفهم والاضطراب .

٥ – ويصادف القارئ في بعض الدراسات مصطلحات متنوعة ذات صله بالنقد الأدبي وهى مصطلحات غير متفق على صورتها النهائية وعلى مجالاتها المحددة مثل " سيميوطيقا " (علم العلامات) فنسمع عن " سيميوطيقا " أدبية وأخرى شعرية وغيرها علمية ونسمع سيميولوجيا اللغة وكذلك المسرح و " سيمنطيقا " ، ومن ذلك "هو رمنيوطيقا " الذي ارتبط بتفسير النص وله عده مجالات تاريخية ودينية وأدبية ونقدية . ومن ذلك مصطلح " البوطيقا " الجديدة أو الإنشائية أو الشعرية[٦١] التي استعملت لدى بعض الباحثين بمعنى واحد ثم اختلف حولها ، فقد اعترض محى الدين صبحي على توحيد الدلالة للمصطلحات السابقة ، كما اعترض على مناسبة

تلك المصطلحات لمدلولها ، فهو يرى أن " الشعرية " من الأنسب أن يقال عنها القول الشعري أما الإنشائية.فهي أقرب إلى " التأليف أو أصول التأليف "[٦٢]

ويقابلنا مصطلح " أنطولوجى " "وانتولوجى " " وأنثولوجى " لمعنى واحد هو المختارات أو النصوص المختارة أو المنتخبات رغم الاختلاف الواضح بينها[٦٣] . ويحلو لبعض النقاد أو الباحثين أن يبتكر لنفسه بعض المصطلحات التي لا جديد فيها مثلما نسمع عن " الأدب الراهن " كمصطلح يقابل " الأدب المعاصر أو الأدب الحديث " و " الأسلبه " مقابل الأسلوب المقلد ، أما " التزمين " فيقابل تاريخ الأعمال الأدبية[٦٤] والطابع " الطوطولوجى " أي التكراري[٦٥] وكلمة " الجهاز " بمعنى المنظومة و " المتقبل " بمعنى المتلقى والانزياح بمعنى خرق القواعد أو اللجوء إلى ماندر من الصيغ[٦٦] .

وأعجب ما قابلني من مصطلحات مصطلح " تقريد " مقابل التقليد في الأدب والنقد[٦٧] ، ويتضح أيضاً أن هناك خلطاً بين استعمال مصطلح " الرمزية " باعتباره مذهباً في الكتابة الأدبية والفن ينتمي إليه عدد من الأدباء ذوى نزعة تميل إلى الإيحاء والغموض في التعبير وإلى جعل ما يرونه في الحياة رمزاً لحالات نفسية وبين "الرمزية" باعتباره منهجاً أو طريقة في دراسة النقد تقوم على تأويل المعاني أو القدرة على اكتشاف الأفكار والمشاعر الغامضة والكشف عن مدلولاتها في الأدب .

ويلاحظ الدارس أن هناك اختلافاً واسعاً حول مصطلح " الحداثة " عند النقاد ، فهذا المصطلح تعرض – شأنه شأن فكره الحداثة – لاضطراب وتغير ، في الدلالة وتحول في المعنى ، فنسمع الحداثة القديمة والحداثة الجديدة وما بعد الحداثة.

إن مصطلح الحداثة لم يكن غريباً أو مفقوداً في نقدنا العربي القديم ، فقد استخدم بعض النقاد واللغويين والرواه لفظ " المحدثين " وصفا للشعراء الذين خرجوا

على السائد والمألوف ، عندما احتدم الصراع بين أنصار القديم وأنصار الجديد حول

الشعر الذي اتسم ببعض سمات التجديد في العصر العباسي ، ومع ذلك مال عدد من الأدباء والنقاد المحدثين إلى أصول غربية في دعوتهم إلى الحداثة في الأدب والفكر، فانقلب هذا المفهوم على نحو جذري عند الحداثيين واتخذت الحداثة شكل صراع بين توجهين متناقضين ومتزامنين في الوقت ذاته[٦٨] .

وقد صاغ أصحاب الدعوة إلى الحداثة تعريفات للحداثة اتسمت بالغموض والالتواء واكتسبت صبغة فلسفية تجريدية واختلفت تعريفاتها – عند النقاد – باختلاف توجهاتهم ومواقفهم ، وبدت هذه التعريفات في بعض الأحيان متناقضة[٦٩] فالحداثة أحيانا تشمل التجديد في المضامين الفكرية والفلسفية كما يرى أدونيس[٧٠] ، كما أنها تشمل أحيانا أخرى التجديد في المضامين وتفجير القوالب الصياغية أو الأدائية معاً ، أي الثورة على المضامين والأشكال الفنية كما يرى عبدالسلام المسدى[٧١] . ويذهب حنا عبود إلى أن كلمة الحداثة من حيث دلالتها (تقابل "الرثاثة" مثلما أن كلمة قديم مقابلة للجديد ، فالرثيث هو البالي الذي تخطاه الزمن على عمس الحديث الذي يمثل تقدماً أقرب إلى القانون الأشمل "[٧٢] .

ويفسر د. كمال أبو ديب الحداثة بأنها تعنى الانفصام " الانفصام دائماً فعل توتر وقلق ومغامرة "[٧٣] .

وتتسم الحداثة عند الحداثيين العرب بالتمرد على الأعراف السائدة والثورة على القيم والدعوة إلى الحرية بمفهومها الأوسع وإسقاط القداسة عن كل شيء مع ميل إلى الغرابة والغموض واستخدام أسلوب التغيير والهدم والبناء بالطرائق ذاتها التي سلكتها الحداثة الغربية . يقول أدونيس : " الحداثة رؤيا جديدة ، وهي جوهرياً رؤيا تساؤل واحتجاج : تساؤل حول الممكن واحتجاج على السائد[٧٤] .

وكثيراً ما تداخل مفهوم الجدة (الجديد) مع مفهوم الحداثة لدى عدد من النقاد ، كما أصبح عندهم أيضاً خلط واضح بين مفهوم الحديث والمعاصر[٧٥] .

ومن المفاهيم أو المصطلحات التي شاعت في الدراسات ، الأدبية مفهوم النظرية ، والنظرية في المفاهيم الفلسفية الغربية هي " مجموعة من الموضوعات القابلة للبرهنة والقوانين المنتظمة وتخضع للفحص التجريبي ، وتكون غايتها وضع حقيقة لنظام علمي ، وهى مجموعة متسعة من الافتراضات التي تكون قابلة للخضوع لنظام التحقيق "[٧٦] .

ويبدو أن مفهوم " النظرية " قد انتقل من مجال العلوم السياسية والقانون إلى مجال الأدب والنقد ، فبناءً " على التساهل الذي يعد مجموعة من الأفكار والآراء التي يروج لها حزب من الأحزاب أو سياسي محنك من الساسة – نظرية فإنه عد كلّ مايشبه ذلك من الأفكار الموضوعة حول علم من العلوم أو فن من الفنون أو جنس من الأجناس الأدبية نظرية أيضاً ، ولعل بعض ذلك كما يرى د. عبد الملك مرتاض – ماحمل النقاد المعاصرين على اللهج بمصطلح " النظرية " فإذا للأدب نظرية ، وللنقد نظرية ، وللرواية نظرية وللنص نظرية[٧٧] .

ونصطدم عند قراءة بعض الكتب في الأدب والنقد بترجمات غريبة لبعض المصطلحات مثل " المحايثة " ترجمة لمبدأ الانبثاق ، و " شاقولى " ترجمة لمحور الاستبدال في النقد[٧٨] وأحياناً نسمع عن علم الأسلوب وعن الأسلوبية بمدلولات متشابهة أو متقاربة ، وعن علم اللغة والألسنية كذلك ، ونسمع عن القراءة النقدية العميقة التي تسمى أحياناً قراءة ثانية أو قراءة جديدة دون تمييز بينها .

ونسمع عن غيرها من المصطلحات دونما اتفاق واضح على استعمالاتها بصورة تضيع فيها الحدود الفاصلة والدقيقة بين الأشياء .

إن من يقرأ كتاب الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسنى في نقد الأدب "

للدكتور عبدالسلام المسدى – وهو كتاب له قيمته – يدرك مدى الصعوبة التي تواجه المرء في فهم الكتاب والإفادة منه ، وليس هناك من سبب لذلك سوى كثرة

المصطلحات النقدية واللغوية المترجمة والموضوعة .

وقد تنبه المؤلف لهذه الحقيقة فأفرد ما يقارب نصف الكتاب من ص ١٢٥ إلى ص ٢٣٥ للكشف عن تلك المصطلحات الصعبة وتفسير الألفاظ الأجنبية التي اشتمل عليها الكتاب ، وهذا في حد ذاته يعكس لنا جانبا من الإحساس بمشكله المصطلح .

ومن يطلع على مجلة " فصول " النقدية ، وبخاصة الأعداد الأولى منها يجد دليلاً على ما نتحدث عنه ، فقد أشارت المجلة إلى شكوى القراء بل وشكوى بعض الأدباء الكبار من عدم القدره على فهم شيء من أبحاث المجلة بالرغم من قيمتها الكبيرة ، وقد وصل الأمر بأحد كبار الأدباء الذين قرأوا مجلة " فصول " إلى القول: " لم أكن أعلم أن النقد قد صار على هذا القدر من الصعوبة "[٧٩] ولا نظن أن هذه الصعوبة متأتية من المنهج أو المضمون الذي تعالجه دراسات المجلة بقدر ما هي متأتية من لغة النقد وكثرة المصطلحات الغربية والجديدة التي تحفل بها صفحات المجلة .

رابعاً : مقترحات وتوصيات :

وبعد لست أريد أن أتخذ موقف المتشائم ولكنى حريص على أن أسجل إحساسي بخطورة المشكلة التي طرحناها ، واعتقد أن من الضروري أن نشحذ الشعور بالحاجة إلى مراجعة أساليب نقدنا بل وفهمنا لأدبنا العربي القديم والحديث .

وفى هذا المجال نطرح عدداً من المقترحات أو التوصيات التي نأمل أن تسهم في تحديد تصور واضح لحل المشكلة أو لمعرفة أبعادها :

- إن استثمار معطيات الحضارة والاستفادة من مختلف المعارف والعلوم الأجنبية لتطوير مناهجنا ومصطلحاتنا وأدواتنا المعرفية لايعنى أن نتجاهل تراثنا وما فيه من أمور مفيدة صالحة ، ولهذا نرى ضرورة البدء بفهم مصطلحنا النقدي العربي في مختلف عصور استخدامه إلى جانب فهم مصطلحات الغرب التي نطبقها على آدابنا ودراساتنا النقدية في العصر الحديث .

- إن من يشغل نفسه بوضع أو ترجمة المصطلح النقدي عليه أن يكون على معرفة جيدة بعلم اللغة بوجه عام وعلم الدلالة بوجه خاص ، وعليه أن يتعمق كل ما يتصل بالحقول الدلالية التي ينبغي على أساسها أن يصنف المصطلحات ويكتشف العلاقات بينها .

كما لابد له من الإفادة من المعاجم القديمة وبخاصة معاجم الموضوعات المتخصصة ككشاف اصطلاحات الفنون ، وإحصاء العلوم ومفاتيح العلوم والتعريفات للجرجاني والكليات للكفوي ، وكذلك الإفادة من المعاجم الحديثة كمعاجم مجدي وهبة وإبراهيم فتحي ومعجم عبدالله العلايلي الذي طبع جزء منه في بيروت في أول الستينات .

- إن من واجب من يتصدى لوضع المصطلحات أو ترجمتها أن يكون واسع الثقافة وأن يتقن اللغة الأجنبية التي يترجم منها وأن يعرف الوسائل الاشتقاقية لتلك اللغة وذلك لكي يتمكن من التحري عن اللفظ الأجنبي قصد التثبت من مستواه الدلالي واحتمالات خطأ نقله إلى العربية . وكذلك عليه أن يكون واعياً مستوعباً لقواعد اللغة العربية واشتقاقاتها وبنائها وللمصطلحات الخاصة بمادة اختصاصه وأن يتميز بالتروي والتحري مده طويلة عن القيمة الدلالية والاشتقاقية للمصطلح الذي

يختاره حتى يحصل على خبرة واسعة يضيف إليها جانباً من الموهبة الأدبية تسمح له أن يكون على علم تام بوسائل وضع المصطلح وفقاً لأوزان ألفاظ العربية

وصيغها كالاشتقاق والمجاز والاستعارة والنحت والتعريب بالإضافة إلى ذلك ينبغي أن يتعرف على الوسيلة التي تكون أكثر مناسبة من غيرها وعلى اللفظة التي قد تكون أكثر صلاحية للمصطلح من غيرها .

– إننا بحاجة لدراسات معجمية في تطور المفاهيم والمصطلحات في الفكر العربي والغربي ، دراسات تهتم بالتطور التاريخي والدلالي للألفاظ والمصطلحات .

– تنمية التواصل بين الأدباء والمثقفين والنقاد العرب بتسهيل كل سبل ذلك التواصل وتوظيف وسائل الإعلام للنشاطات المختلفة وإطلاع القارئ ، العربي على ما يصدر من أبحاث وكتب ودوريات تتناول قضايا النقد والأدب والفكر .

– ينبغي ألا يستمر غياب التخطيط والتنسيق والتكامل في حركة الترجمة في الوطن العربي بين المؤسسات العلمية والمجامع العربية ، فاستمرار ذلك جعل الترجمة – رغم كل ما أسدته من فوائد – لاتبلغ مرحلة النضج من حيث اللغة والأسلوب والمصطلح ، وغلب على كثير من الترجمات طابع العجلة والتسرع ، لهذا نرى ضرورة بذل الجهود من أجل تجاوز السلبيات وذلك بوضع خطة قومية للترجمة في ضوء الدراسات المتخصصة التي تقدم عن واقع الترجمة في الأقطار العربية .

وكذلك دعم مؤسسات الترجمة والنشر وإنشاء مؤسسات للترجمة والنشر أو التشجيع على إنشائها في الأقطار العربية ، وإصدار التشريعات اللازمة لتنظيم حركه الترجمة والرقى بها وتحديد معايير متفق عليها يلتزم بها المترجمون ، وتبادل المعلومات وتنظيم وسائل الاتصال والتعاون بين مؤسسات الترجمة من النواحي

الفنية والتسويقية والإعلام وإصدار ببليوغرافيا سنوية بالكتب المترجمة والاهتمام بالمستوى الفني للترجمة وتيسير تداول الكتاب المترجم وتوزيعه .

- لابد للمجامع العلمية واللغوية من المشاركة في حل لهذه المشكلة وذلك بأن تشارك في تذليل الصعوبات وتيسير مهمة الباحثين ومن خلال توحيد اللغة التي يتحدث بها هؤلاء الباحثون وذلك بوضع معاجم مبوبة للمصطلحات الأدبية والنقدية(*) مع شرحها ونشرها والعمل بها بصورة عامة وكاملة في الوسط الأدبي ، وعلى الجامعات أن تقوم بدورها المأمول في هذا المجال بالمشاركة مع المجامع في عقد الندوات والملتقيات العلمية لمناقشة القضية ونأمل أن تكلل تلك الجهود بالنجاح لنرى ونسمع عن دوائر مغارف نقدية وأدبية وبذلك يتحقق للنقد والأدب والثقافة إنجازات هامة تنقلها من حالة الضعف والتخبط إلى حالة من الانضباط والتحديد والتميز والازدهار .

(*) عقد اتحاد المجامع العربية ندوة في دمشق سنة ١٩٧٢م حول المصطلحات القانونية ثم في بغداد حول المصطلحات النفطية ، كما أسهمت المجامع العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإصدار عشرات المعاجم في المجالات العلمية واللغوية والقانونية والاجتماعية وغيرها ومع ذلك لم يحظ الأدب والنقد الأدبي بنصيب من تلك المعاجم ، كما لم تعقد ندوات خاصة بضبط المصطلحات الأدبية والنقدية كما هو الشأن في ميادين العلوم الأخرى ولعل غياب هذا الاهتمام عن مجال المصطلح النقدي على مستوى المجامع العربية وغيرها من المؤسسات يرسخ المشكلة التي ننبه إلى آثارها غير الإيجابية .

هـوامـــش البحـــث

١- الربيعـي ، د٠ محمـود : مقـالات نقديـة ، مكتبـة الشباب ، القـاهرة ، ١٩٧٨ ، ص٤٩

٢- الزمخشرى : أساس البلاغة ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٣٥٩ .

٣- إسماعيل ، د٠ عز الدين وآخرون : قراءة جديدة لتراثنا النقدي ، النادي الأدبي بجدة ، السعودية ، ١٩٩٠ ، ١/ ٢٣٠

٤- عبـاس ، د٠ إحسـان : فـن الشـعر ، ط ٢ ، دار الثقافـة ، بـيروت ، ١٩٦١ ، ص ١١ .

٥- عباس ، د٠ إحسـان : تـاريخ النقـد الأدبـي عنـد العـرب ، ط ٢ ، دار الثقافـة ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ١٤ ، ١٥

٦- عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٢٨ .

وانظر : ابن طباطبا : عيار الشعر ، تحقيق د٠ طه الحـاجرى ود٠ محمـد زغلول سلام ، التجارية ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٧ .

الأصمعي : فحولة الشعراء ، تحقيق د٠ محمد عبـد المنعـم خفـاجى وطه محمد زينى ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ١١ .

الآمدى : الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط ٢ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٢ ، ٤/١ .

٧- عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص ٢٨ .

٨- انظر : قدامه بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيـق د٠ محمـد عبـد المنعـم خفـاجى ، ط. ١ ، مصر ، ١٩٧٩ ، ص ٨٥ وما بعدها.

٩- لم أشأ التوسع في الحديث عن تطور المصطلح النقدي في القديم ، ولذلك اكتفيت بما ذكرته تمهيداً لما سنذكره من ملامح مشكلة المصطلح في العصر الحديث ، وهو الموضوع الأساسي الذي يتناوله هذا البحث .

١٠- أبو شاويش ، د٠ حماد حسن : النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٧ .

١١- أبو شاويش ، ص ٧ .

١٢- إسماعيل : قراءة جديدة لتراثنا النقدي ، ص ٢٤٣ .

١٣- الصيادى ، د٠ محمد المنجى : التعريب وتنسيقه في الوطن العربي ، ط.١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٤٢ .

١٤- فاضل ، جهاد : أسئلة النقد ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، د٠ت٠ ، ص ٦٨.

١٥- الربيعي ، ص ١٢٠ .

١٦- جريدة اللقبس الكويتية ، عدد يوم ١٩٨٩/٧/١٧. وانظر فاضل ، ص ١٦٨ .

١٧- اللقبس الكويتية ، عدد يوم ١٩٨٩/٧/١٧. وانظر فاضل ، ص ١٦٨ .

١٨- تودوروف ، تزفتان وآخرون : في أصول الخطاب النقدي الجديد ، ترجمة أحمد المدينى ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٨ ، ٩ .

١٩- فاضل ، ص ٢٤٠ .

٢٠- الربيعي ، ص . ٥٧ .

٢١- الربيعي ، ص ١٢٠ .

٢٢- مجلة الفصول الأربعة ، العدد ٧٦ فبراير ١٩٩٤ ، السنة الرابعة عشرة ، ص ٤٠ .

٢٣- مجلة الفصول الأربعة ، العدد ٧٦ فبراير ١٩٩٤ ، السنة الرابعة عشرة ، ص ٤٠ .

٢٤- مجلة الفصول الأربعة ، العدد ٧٦ فبراير ١٩٩٤ ، السنة الرابعة عشرة ، ص ٤١ .

٢٥- انظر : زراقط ، د٠ عبد المجيد : (قصيدة النثر) ، مجلة شئون أدبية الصادرة عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات العربية ، عدد ١٠ ربيع ١٩٩١م

ص ١٨ وما بعدها .

٢٦- مجلة الفصول الأربعة ، عدد ٧٦ ، ص ٤١ .

٢٧- مجلة (شعر) البيروتية ، عدد ٦ ، ١٩٥٨ ، ص ١٢٤ .

٢٨- مجلة مواقف ، العدد ٣٦ ، شتاء ١٩٨٠م ، ص ١٣٨ .

٢٩- يذكر أدونيس وأنسي الحاج أنهما متأثران بكتاب سوزان برنار (قصيده النثر منذ بودلير حتى أيامنا) أنظر : مجلة (شعر) البيروتية ، عدد ١٤ ، ١٩٦٠ .

٣٠- الطاهر ، د٠ على جواد : مقدمة في النقد الأدبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٢١٥ .

٣١- الطاهر ، ص ٢١٥ نقلا عن " أصول الأدب " للزيات .

٣٢- الطاهر ، ص ٢١٥ نقلاً عن " علم الأدب " لروحي الخالدي ص . ١١١ .

٣٣- الطاهر ، ص ٢٦١ .

٣٤- الطاهر ، ص ٤٣٤ .

وانظر : د٠ مندور ، محمد : في الأدب والنقد ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٣ ص ٨٣ – ٨٦ .

٣٥- د٠ مندور ، محمد : النقد والنقاد المعاصرون ، دار القلم ، بيروت ، د٠ت٠ ، ص ١٨١ .

٣٦- عبدالله ، د٠ محمد حسن : مقدمه في النقد الأدبي ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٧٤ ، ص ٥٥ .

٣٧- علام ، د٠ عبد الواحد : اتجاهات نقد الشعر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٧ .

٣٨- عبدالله ، ص ٥٦ .

انظر : العقاد ، عباس محمود : أبو نواس ، ص ٥٨ .

٣٩- زكي ، د٠ أحمد كمال : النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ١٧٩ .

٤٠- الطاهر ، ص ٤٢٣ .

٤١- الطاهر ، ص ٣٧٣ . والمقصود بالنقد المعياري أو القاعدي النقد الذي يطبق قواعد أرسطو .

٤٢- السحرتي ، مصطفى عبد اللطيف : الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، المقتطف والمقطم ، ١٩٤٨ ، ص ٩ وانظر السحرتي ، ص ٣٧٣ .

٤٣- الربيعي ، ص ١٢١ .

٤٤- الربيعي ، ص ١٢١ .

٤٥- يعترض د. على جواد الطاهر على استخدام الرمانتيكية محل الرومانسية وعلى استخدام الرومانتيكى بدلاً من الرومانسي ، ويفسر ذلك بأن الرومانتيكية ليس أصلها من ROMANSE ولو كان هذا هو أصلها لقالوا ROMANCISME – انظر : مجلة الفكر العربي ، عدد خاص عن اللغة العربية واشكالات المعاصرة ٢٠٨/١ .

٤٦- أول من استخدم الرومانية بمعنى الرومانتيكية روحي الخالدي ١٩٠٤ انظر : مجلة الهلال ، مجلد ١٩٠٣ / ١٩٠٤ ، ص ٥٢٨ وقد استند روحي الخالدي في ذلك إلى أن لفظة الرومانية من الرومان وهي اللغة المتفرعة من اللاتينية القديمة .

٤٧- كمثال على هذه التسميات انظر عناوين الكتب التالية – مترجمة وغير مترجمة :

- كولريدج : النظرية الرمانتيكية في الشعر ، ترجمة عبدالحكيم حسان ، دار المعارف بمصر .
- هلال ، د٠ محمد غنيمي : الرمانتيكية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣م .
- الرومانطيقية ، ترجمة بهيج عثمان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٦م .
- فرست ، ليليان : الرومانسية ، ترجمة د. عبدالواحد لؤلؤه ، بغداد ، ١٩٧٨م .

٤٨- من الكتب المترجمة :

١ / شولز ، روبرت : البنيوية في الأدب ، ترجمة حنا عبود .

٢ / بياجية ، جان : البنيوية ، ترجمة عارف منيمنه وبشير آوبرى

ومن المؤلفات : أبو ديب ، كمال : جدلية الخفاء والتجلي دراسة بنيوية في الشعر

٤٩- التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحده العربية (مجموعة من الباحثين) بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، نشر مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٤٤٠ .

٥٠- مندور : في الأدب والنقد ، ص ٩٠ .

٥١- راى ، وليم : المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية ، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٧، ص ٩،١١.

وقد قال جان بيير ريشار " إن الأسلوبية والتكوينية بالنسبة لفرنسا يعتبران مترادفين " (١) وكلا المصطلحين يستند إلى فكرة تقييم العمل الأدبي بتركيز الاهتمام على ناحية الصياغة والأسلوب .

٥٢- بحيري ، د٠ كوثر : الاتجاهات الحديثة للنقد الأدبي ، ط ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٢ .

٥٣- بحيري ، ص ١٧٢ .

٥٤- يونس ، علي : النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقى في الشعر الجديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٢٣٤ .

وانظر : النويهي ، د٠ محمد : قضية الشعر الجديد ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٢٣١ .

وانظر : عياد ، د٠ شكري : موسيقى الشعر العربي ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٤٩ .

٥٥- د٠ مندور ، محمد : (مقال) ، مجلة كلية الآداب جامعة فاروق الأول ، عدد ١ سنة ٣ ، ص ١٩٤ .

٥٦- إسماعيل ، د٠ عز الدين : الشعر العربي المعاصر ، ص ٨٥ .

٥٧ - ويلك ، رينيه : نظرية الأدب أوستن وارين ، ترجمة محي الدين صبحي ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، دمشق ، ١٩٧٢ ، ص ٢١٦ . المترجم بترجم النبر بالشدة .

٥٨- مجلة " الشعر " القاهرية ، عدد إبريل ، ١٩٧٦م .

٥٩- إسماعيل ، د٠ عز الدين : الأسس الجمالية فىالنقد الأدبي ، دار الفكر العربي القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٣٧٤ .

٦٠- عياد ، ص ١١٢ .

٦١- يونس ، ص ٢٣٣ .

٦٢- المسدى ، عبد السلام : الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسنى في نقد الأدب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا/تونس ، ١٩٧٧ ، ص ٢١ .

٦٣- صبحي ، محي الدين : نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤ ، دمشق ، ص ١٩٤ .

٦٤- مجلة الفكر العربي ، عدد خاص عن اللغة العربية واشكالات المعاصرة ، ص ٢٠٧ وهناك اختلاف في المعنى والدلالة بين ANTHOLOGY و ONTOLOGY .

٦٥- الملحق الثقافي بجريدة الخليج الإماراتية (الخليج الثقافي) ، عدد ٣٦ ، بتاريخ ١٩٨١/١٢/١٤م .

٦٦- تودوروف ، ص ٥١ .

٦٧- المسدي ، ص ٦٥ - ١٤٣ - ٨٥ .

٦٨- الملحق الثقافي بجريده الخليج الإمارتية (الخليج الثقافي) .

٦٩– قاسم ، د٠ عدنان : الابداع ومصادره الثقافية عند أودنيس ، د٠ن٠، ١٩٩١ ، ص ٤٢ .

٧٠– قاسم ، ص ٤٥ ، ٤٩ .

٧١– مجلة " فصول " ، المجلد الرابع ، العدد الرابع ، ١٩٨٤ ، ص ١٢ .

٧٢– (مقاربة الحداثة) ، مجلة الناقد ، العدد الثامن ، فبراير ١٩٨٩ ، ص ٣١ .

٧٣– مجلة ' فصول '، المجلد الرابع ، العدد الثالث ، ١٩٨٤ ص ٣٥ .

٧٤– الثابت والمتحول (صدمة الحداثة) ، أدونيس ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٣ ص ٢٤٤ وانظر الإبداع ومصادره ص ٤٩ .

٧٥– مجلة الناقد ، العدد الثامن ، فبراير ١٩٨٩ ، ص ٣١.

٧٦– إسماعيل : قراءة جديدة لتراثنا النقدي ، ٢٦٠/١ .

٧٧– إسماعيل : قراءة جديدة لتراثنا الأدبي ، ٢٦٠/١

وانظر: نظرية النقد العربي وتطورها ، ص ١ .

٧٨– مجلة الخليج الثقافي ، عدد ٣٦ ، بتاريخ ١٩٨١/١٢/١٤م .

٧٩– مجلة فصول ، المجلد الأول ، العدد الثالث (الافتتاحية) .